ينابيع المعرفة

عند ابن سينا (٩٨٥ ــ ١٠٣٧)

جاء ابن سينا الى الحياة وبنفسه ظمأ قاتل وحر مذيب ورأى ينابيعها الصافية تنساب مترنمة جذلى فأقبل يشرب منها بكؤوس مترعة ولكن هذه النفس لم ترتو من كل هذه الينابيع العذبة بل راحت تَصِبّ براحتيها من الفدران الملأى بالآفات كأنها آتية من الصحراء القاحلة ولا غرو فالنفوس الكبيرة لا يقنعها شيء قليل والقلوب العظيمة لا ترويها كل أمواه الحياة . وكما كانت شفتاه لا ترتويان من لذاذات الدنيا ونفسه لا تشبع من متع الحياة كذلك كان عقله المتألق يريد الإحاطة بكل أنواع المعرفة . فرأيناه يحوم فوق رياضها كما تحوم النحلة الظمأى فوق الزهور فيرشف منها رشفات عامرات ويسكب كل ذلك في خليته العظمى ولما تمتلئ .

إذا تأملنا المعرفة عند ابن سينا نجدها بحراً واسعاً وحوله الأنهار تصب فيه الماء صباً فيجرها اليه ولا يمتلئ . فعنده تجمعت معارف الأوائل والمتأخرين وفي محرابه سجد كل الفلاسفة والمتكلمين . كيف لا ولديه خلاصة الخلاصات من علوم اليونان وحكمة الهند وفارس وألمعية السريان وفصاحة العرب وخطابة الرومان وكأني به وضع كل هذه المعارف في بودقة واحدة كبرى فصهرها وأعد منها ذوباً صافياً مثل اللجين هو ذوب نفسه الكبيرة وعصارة قلبه العبقري .

خلق ابن سينا ليكون ذا حكمة بالغة ومعرفة متألقة وقد توصل الى شيء من المحصول العلمي والفلسفي ومما يؤسف له تقصيره في الغوص الى أعماق نفسه للبلوغ الى الينبوع الأصيل الكامن في قرارته العاقلة واستخراج روائع العبقرية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الحقيقية كما انه لم يعن كثيراً بالبحث العميق في مذاهب الفلاسفة الكبار بل اكتفى بشروحها السطحية وهي من محصول المعلقين والشراح السابقين وذلك لانصرافه الى أمور من شأنها إخماد جذوة الحكمة وإطفاء أنوار المعرفة ونحن وإن كنا لا نستطيع أن نسجل له أيّ ابتكار فكري أو مذهب فلسفي خاص شأن الفلاسفة الحقيقيين إلا أننا نعجب لسعة إدراكه وتوصله الى نتائج حاسمه حفظها له التاريخ الفكري بمداد التجلة والإكبار ، مما لا يتوصل إليه إلا الأفذاذ من المتتبعين .

أعجب المشارقة بفلسفة أرسطو منذ تعرفهم به وراحوا يتناولونها من جميع النواحي درساً وتحقيقاً وشرحاً وتعليقاً بل راح كثيرون منهم على منواله ينسجون وفي حبله يحطبون ومن بحره يغترفون وبآرائه وأفكاره يتقيدون وكأني بهم أسرتهم عبقرية المعلم الأول فلم يحيدوا عنها يمنة أو يسرة إلا ما كان لديهم مناهضاً ولحقهم مناقضاً . وقد صرح بمناهضته كثيرون منهم ولا سيما الفيلسوف ابن كيفا في بحوثه النفسية [1] . أما فيلسوفنا فلم يكن إلا أحد هؤلاء الفلاسفة وقد نسج على منوال أرسطو في مبادئه وأصوله وسار معه جنباً إلى جنب إلا في ما كان مخالفاً للوحي والتنزيل وكأني به حاول اخضاع أرسطو وفلسفته لغاياته وأهدافه وهذه هي منتهى العبقرية عند ابن سينا ولكننا نلاحظ أن الشيخ الرئيس بعد بنائه على أسس أرسطو انتهى به المطاف الى مذهب أفلاطون والأفلاطونية الجديدة دون قصد منه ولذلك ثلاثة أسباب :

١ – استقاؤه فلسفة أرسطو ممزوجة بهاتين الفلسفتين وقد حدث ذلك إبان القرن السابع يوم اشتغلت مدرسة قنسرين الفلسفية بمبادئ المعلم الأول ، فأشربتها بمبادئ يوحنا فيلوفونوس وأفلاطون والأفلاطونية الجديدة [2] .

(١) ابن كيفا في بحوثه النفسية وعلم النفس باب ٤ الباب ٢٠ .
(٢) اللؤلؤ المنثور ص ١٥٦ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

٢ — تشربه بالأفكار الفلسفية القدمى التي نشأت في الشرق ولا سيما الهند وفارس وهذه تتفق أحياناً مع مبادئ الفلسفتين المشار اليهما .

٣ — محاولته تسخير الفلسفة المشائية ذاتها لمبادئه الدينية كما فعل من قبله أستاذه الفارابي في الجمع بين الحكيمين [١] .

وأما تصريحه في مناهضة بعض آراء أرسطو ومدرسته [٢] ، فذلك طبيعي في فيلسوف مثله إذ ليس من الممكن أن يسلم في جميع آرائه ولديه الدين والوحي والمثل الشرقية المعروفة ناهيك عن أن هذه هي خلة الجبروت والكبرياء في هذا العبقري فقد أبت نفسه العظيمة أن تظهر خضوعها المطلق للمعلم الأول وأرادت التظاهر بتحديه طمعاً في حفظ كرامتها وصون عظمتها . وقد رأينا ابن سينا يبالغ في إطراء نبوغه غير مرة [٣] .

أما الذين درسوا كتبه وقابلوها بمنتوج المعلم الأول فقد قرروا أنه كان مشائياً صريحاً وهذا ابن العبري الذي أعجب به أكثر من إعجابه بجميع الفلاسفة الشرقيين يؤيد ذلك فيصرح (ان ابن سينا لما أخذ وزنة ارسطوطاليس (فلسفته) لم يزدها خمساً لكن أكثر من خمسين وزنة) [٤] وناهيك بفيلسوف كابن العبري تعمق في درس المعلمين أرسطو والشيخ الرئيس وأصدر هذا التقرير الصريح الأمر الذي لا يدع مجالاً للشك في أن ابن سينا كان أرسطوطاليسياً في جميع دراساته الفلسفية .

ومع هذا نجد إعادة معرفة ابن سينا الى ينابيعها الأصلية ليست من الهينات بل هي مجازفة كبرى في وسط كهذا يجتمع فيه أفاضل العلماء وأساطين المعرفة في الشرق والغرب .

---

(١) الجمع بين الحكيمين ص ٥ .
(٢) الشفاء : الفن ٥ المقالة ٢ الفصل ٣ طبعة طهران ١٣٠٣ .
(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء القاهرة ١٨٨٢ ج ٢ ص ٢ وفيه أيضاً ص ٣ .
(٤) ابن العبري : تاريخ الدول السرياني ص ٢١٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

— ١ —

إذا تتبعنا منطق ابن سينا من ألفه الى يائه لا نجده إلا منطق أرسطو بعينه إلا ان ابن سينا لم يستقه من ينبوعه الأصيل بل تلقاه من كؤوس غير كؤوس أرسطو . ومع ذلك حفظت فيه الصفات الأصلية التي تناقلها المترجمون والشراح جيلاً بعد جيل .

هذا منطق ابن سينا بين أيدينا وهذه تفاصيله وفي إمكاننا استعراض بعضها للوصول الى ينبوعه الحقيقي والسواقي التي جرت فيها مياهه حتى وصلت الى جنينة الشيخ الرئيس .

العقل البشري عند ابن سينا ناقص محدود ولذلك هو بحاجة الى موجه أمين يقوده الى الحق [١] والمنطق هو ذلك الموجه فبدونه لا يستطيع معرفة الطريق الى الحق ولا الوصول الى الهدف ، والمنطق ينتقل بالعقل البشري من المعلوم الى المجهول [٢] ويعتقد ابن سينا ان كل انسان بحاجة ماسة الى المنطق إلا الأنبياء المؤيدين بالوحي الإلهي [٣] وهذا رأي ابن العبري المنقول عن أرسطو [٤] .

وأهم التفاصيل التي يمر بها ابن سينا في منطقه بعد المقدمات المعروفة هي الحد والجنس والفصل والأمور المحدودة والبسيطة والمركبة . والرسم والافعال والانفعالات والحد والماهية والتركيب وشرائط الوجود والماهية ومفهوم الذات ووجود الذات [٥] .

واذا تأملنا هذه التفاصيل وشروحها وأهدافها نجدها تسير بحسب طريقة الفارابي

---

(١) حي بن يقظان طبعة ليدن ص ٣ .
(٢) النجاة ص ٦ .
(٣) منطق المشرقيين ص ٧ .
(٤) كتاب « الأحداق » في المنطق — المقدمة .
(٥) منطق المشرقيين مطبعة المؤيد القاهرة ١٩١٠ ص ٢٤ — ٢٦ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وأصول منطقه وتتفق معها الاتفاق كله فيكون ابن سينا والحالة هذه تلميذ الفارابي في المنطق كما هو تلميذه في فهم ما وراء الطبيعة .

وأما انتقال طريقة الفارابي الى ابن سينا فكان بواسطة (التعليم الثاني) وقد استقاه الفارابي من مؤلفات الفلاسفة الذين سبقوه بمدة قليلة وقد حدثنا حاجي خليفة في كشف الظنون : ان الفارابي جمع التراجم الفلسفية التي عملت في عصر المأمون وجعل منها ترجمة ملخصة محررة مهذبة مطابقة لما عليه الحكمة ... وسمى كتابه بالتعليم الثاني فلذلك لقب بـ (المعلم الثاني) ثم يذكر أن هذا الكتاب ظل مسوداً بخط الفارابي في خزانة المنصور حتى اطلع عليه ابن سينا ولخص منه كتاب (الشفاء)[1] .

وقد طعن البعض في قول حاجي خليفة هذا بصورة خفيفة ولكن مهما كان الأمر فانه قول حقيقي مسلم به الآن (الشفاء) هو بحق ملخص (التعليم الثاني) هذا من جهة ومن جهة ثانية ان ابن سينا لا يقر بالفضل لأي فيلسوف ما عدا الفارابي مما يدل على حفظه لجميل المعلم الثاني .

أما الفارابي فما عدا تلقيه العلوم الفلسفية على يوحنا بن حيلان[2] وكان هذا على مذهب أرسطو فانه لخص جميع الترجمات الفلسفية التي خلفها أرسطو الى العربية وعلمناه متعشقاً لأرسطو وكتبه وهذه شروحه لكتب أرسطو المنطقية تؤيد ذلك[3] ولا نشك أبداً أن هذه الشروح وغيرها وصلت ابن سينا فاستقى منها منطقه .

ومنطق أرسطو الى أن وصل ابن سينا مر بأربعة أدوار هامة بدأت في أواسط القرن الخامس المسيحي وانتهت في نهاية القرن التاسع .

---

(١) كشف الظنون طبعة ليتبزغ ١٨٣٥ ج ٣ ص ٩٨ – ٩٩ .
(٢) تاريخ الحكماء للقفطي طبعة ليتبزغ ١٣٢٠ هـ ص ٢٢٧ والمسعودي : التنبيه والإشراف طبعة ليدن ١٨٩٧ .
(٣) تاريخ الحكماء للقفطي مطبعة السعادة ١٣٢٦ هـ ص ٢٧ – ٢٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الدور الأول : هو دور الترجمة الأولى من اليونانية الى السريانية وأول مرة تعرف السريان بمنطق اليونان كان حوالي سنة ٤٥٠ حيث ترجم هيبا مطران الرها (٤٣٥ — ٤٥٧) ايساغوجي برفيريوس الى السريانية لفائدة طلاب مدرسة الرها التي أخذت تدرس العلوم عن طريق الترجمة ثم أعقبت الكلية نفسها ترجمتين أخريين لايساغوجي برفيريوس وفي الوقت نفسه ترجم فروبا الايساغوجي ترجمة رابعة ثم قام كومي الرهاوي بترجمة كل كتب أرسطو الى السريانية [١] وعندها أصبح السريان يعرفون أرسطو معرفة حقيقية وتلك المعرفة كانت أصلاً وأساساً لجميع المعارف الشرقية المستقاة من اليونانية . وفي أوائل القرن السادس نبغ سرجيس الراسعيني الفيلسوف والطبيب الشهير (٥٣٦ +) فأعاد ترجمة ايساغوجي برفيريوس الصوري وألحقه بمقولات ارسطو من كتبه المنطقية كما ترجم كتاب النفس أيضاً برمته [٢] وهذه ساعدته على بلوغ ذروة الإبداع في العلوم الفلسفية .

وفي القرن السابع نبغ الفيلسوف الرياضي والفلكي ساويرا سابوخت أسقف دير قنسرين (٦٦٧ +) [٣] وأنعش العلوم اليونانية من لغوية ومنطقية وفلسفية وفلكية ورياضية في كلية قنسرين الشهيرة واشتغل بالترجمة فوصلنا من أعماله ترجمة كاملة لأنالوطيقي الأول (تحليل القياس) ونبغ بعد مدة تلاميذه الثلاثة المشاهير اثناسيوس البلدي [٤] (٦٨٦) ويعقوب الرهاوي [٥] (٧٠٨) وجرجس أسقف العرب [٦] (٧٢٥) فترجموا عدا الايساغوجي كتاب مقولات أرسطو

---

(١) اللؤلؤ المنثور للبطريرك الانطاكي مار افرام الأول ص ١٢٦ .
(٢) اللؤلؤ المنثور ص ١٢٧ و ٣٢٦ .
(٣) اللؤلؤ المنثور ص ٢٨٣ — ٢٨٥ .
(٤) اللؤلؤ المنثور ص ٢٨٩ — ٢٩٠ .
(٥) اللؤلؤ المنثور ص ٢٩١ — ٣٠٦ .
(٦) اللؤلؤ المنثور ص ٣٠٩ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

والكليات الخمس وكتاب الأورغانون وهكذا انتهى عهد الترجمة البكر . وينتهي بانتهائه الدور الأول .

والدور الثاني : هو دور التعليق والشرح والتأليف أخذاً عن أرسطو وغيره من فلاسفة اليونان وذلك باللغة السريانية وأشهر الشراح والمعلقين والمؤلفين سرجيس الراسعيني الفيلسوف الآنف الذكر وسابوخت والبلدي ولا سيما في المواضيع المنطقية[1] .

والدور الثالث : هو دور النقل الى العربية من السريانية مباشرة أو من اليونانية الى السريانية فالعربية وقد عربت في هذا الدور كتب أرسطو في المنطق وأشهر نقلتها حنين بن اسحق وابنه اسحق بن حنين بن اسحق وتيودور وأبو بشر متى ويحيى بن عدي والدمشقي وابراهيم بن عبد الله وابن ناعمة[2] ؛ على أن أجودهم نقلاً وأفصحهم عبارة وأشدهم تدقيقاً للمعاني كان يحيى بن عدي الذي أصلح الكثيرين من المعربين الذين نوهنا بهم هنا .

والدور الرابع : هو دور التعليق في العربية وقام بأعبائه المعربون الآنفو الذكر ويضاف اليهم أبو نصر الفارابي الذي أخذ عنهم كثيراً[3] .

هذه هي الأدوار التي مرت بها العلوم المنطقية حتى وصلت فيلسوفنا ابن سينا وأنت تعلم ما هي الطواريء التي تصيب كل علم إذا مر بأربعة أدوار كهذه وتناقلته الأيدي جيلاً بعد جيل إلا أننا نرى أن هؤلاء النقلة والشراح والمعلقين كانوا أمينين في واجبهم لأنهم حافظوا على جوهر هذا العلم الجليل ونحن نعلم أن السبب في بقاء المنطق سالماً على حالته الأولى هو كونه قواعد التفكير المحدودة المقررة التي لا تتبدل وهو لغة الحق وضابط العقل البشري .

لا حاجة بنا الى مقابلة منطق ابن سينا بما تركه التراجمة والمعلقون والشراح

(١) اللؤلؤ المنثور ص ١٢٧ .
(٢) تاريخ الحكماء للقفطي مطبعة السعادة ص ٢٧ – ٢٩ .
(٣) تاريخ الحكماء القفطي ص ٢٨ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

والمؤلفون لأن المنطق هو هو في كل الأجيال ولم يزد عليه هؤلاء العلماء حرفاً واحداً غير الشرح والتعليق وهذا محصولهم بين أيدينا باللغتين السريانية والعربية ففي العربية لدينا البحوث الوافية للمؤلفين الذين ذكرنا بعضهم في هذه المجالة ولا سيما لفيلسوفنا ابن سينا وأما في السريانية فلدينا الشيء الكثير الذي خلفه لنا أولئك الأعلام وقد جمعه وشرحه علمان كبيران من أعلام الفلسفة عندنا في القرنين الثاني عشر والثالث عشر وهما ابن الصليبي مطران آمد (١١٧١ م) وابن العبري مفريان المشرق (١٢٨٦ م) .

ان ابن الصليبي قام بعمل جبار تجاه المنطق فانه شرحه شرحاً وافياً سنة ١١٤٨ م مجملاً شروح جميع المفسرين السابقين وقد حفظت شروح كثيرة في مؤلفه بينما فقدت في أصولها وفصولها . وقد أولى اهتمامه في جميع شروح الايساغوجي بثلاثة فصول مسهبة والمقولات وقدم خمسة فصول على شرح (العبارة) ثم شرح تحليل القياس (الانالوطيقا) ووضع فصولاً شتى في حل مغلفاته ثم (البرهان) (أنالوطيقا الثانية) [1] وحفظ كتابه الجليل هذا وبقع في ٧٧٠ صفحة كبيرة للخط السرياني الدقيق [2] .

أما ابن العبري فان دراساته المنطقية قد جمعها في كتبه الثلاثة المعروفة وهي : الجزء الأول من كتابه الفلسفي الجليل (زبدة الحكم) وتناول فيه أقسام المنطق الثانية برمتها مع شرحها شرحاً وافياً وكتيبه الصغير (الأحداق) ودرس فيه بصورة موجزة الايساغوجي (وبارى ارميناس) (العبارة وانالوطيقي الأولى والثانية) (القياس — البرهان) وطوبيقي (الجدل) والسوفسطيقي (السفسطة) وترك المعلمين الآخرين (ريطوريقي) الخطابة و (فويطيقي) الشعر لأنه أشبعهما درساً وشرحاً وفي كتابه الأول (زبدة الحكم) ثم كتاب (حديث الحكمة) وقد استعرض

---

(١) اللؤلؤ المنثور ص ٣٨٢ .

(٢) كمبرج رقم ٢٠١٦ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فيه بصورة عابرة (المقولات) (قاطيقورياس) والقياس والبرهان (انالوطيقى الأولى والثانية) وهذه كلها ما زالت بلغتها السريانية ما عدا الأخير (حديث الحكمة) فقد ترجم الى العربية ونشر لأول مرة سنة ١٩٤٠ .

إن هذه الكتب المنطقية تعطينا فكرة واضحة عن منطق أرسطو من جهة وعن الشروح التي قام بها السريان من جهة ثانية . وعن مطابقة منطق ابن سينا لمنطق ارسطو . ومنطق المترجمين والمؤلفين السريان الأولين من جهة ثالثة كما انها تعطينا النتيجة الحاسمة . ان هذه الأعمال الفلسفية التي ظهرت اعتباراً من القرن الخامس فما بعد هي أساس العلوم الفلسفية عند جميع الشرقيين وان منطق ابن سينا منحدر عنها بالطرق التي علمناها الآن وبالتالي ان ابن سينا استقى منطقه من هذه الينابيع .

- ٢ -

علمنا ان ابن سينا سار في منطقه على طريقة الفارابي ومناطقة المشرق قبله وبالتالي أرسطو فقد تأثر خطواته خطوة فخطوة شأن بقية علماء المنطق الشرقيين وكذلك في النفس يعتمد على الأسس التي وضعها أرسطو ولكنه يخالفه في ما يخالف النظرية الدينية واللاهوتية وهذه المخالفة أضفت على بحوثه مسحة من مبادئ أفلاطون ولكنك إذا سرت معه خطوة فخطوة تظن أن أرسطو يتكلم ولكنه أرسطو من نوع جديد .

كان ابن سينا طبيباً وعالج أسقام الجسد معالجة فعّالة وحاول أن يكون طبيباً للنفوس أيضاً وصرف عناية كبرى لمعالجة أسقامها وحملها الى العودة بطريق خاص الى الينبوع الأصلي وهذه الفكرة وإن كانت تبدو أفلاطونية أو أفلاطونية جديدة إلا أنها فكرة دينية توصل اليها ابن سينا بواسطة فلسفة أرسطو نفسها وقد سخر والحالة هذه أرسطو نفسه الى بلوغ أهدافه الدينية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فما النفس يا ترى ؟ وما هذه القوة الجبارة التي منحت لهذا المخلوق العاقل ؟ يقول ابن سينا (انها كمال أول لجسم طبيعي آلي [١]) وهذه فكرة أرسطو ذاتها حفظها ابن سينا وسخرها للبلوغ الى غاياته بعد أن صبغها بألوان دينية صرفة أوحتها اليه عقيدته الروحانية المستقاة من صميم الروح الشرقية .

رضي ابن سينا أن يبني عقيدته على دعامة أرسطو هذه بينما حسبها قبله فلاسفة الشرق دعامة واهية لأنها مبهمة غائصة في ظلام دامس وقد يمكن أن يكون هذا (الكمال) على ضربين متباينين الأول : أن تكون كمالاً للجسم تسيره تحت سيطرتها وبزواله تحافظ على بقائها وخلودها كالملاح بالنسبة الى السفينة ، والثاني : أن تكون كاللون الخارجي بالنسبة الى السفينة وهذا يزول بزوالها . وقد تحدى فلاسفة الشرق أرسطو في هذه النظرية وقالوا اذا قصد أرسطو الضرب الأول من الكمال يكون صادقاً وأما إذا قصد المعنى الثاني يكون مخطئاً . وقد عقد ابن كيفا الفيلسوف اللاهوتي فصلاً خاصاً لتسفيه رأي أرسطو هذا [٢] مع أنه يأخذ بآرائه في مواضيع نفسية أخرى .

وهذه النفس عند ابن سينا (قوة) وهذه القوة منقسمة الى قوتين إحداهما (القوة العاملة والثانية العالمة [٣]) ومبدأ تجزئة النفس مبدأ أرسطو بعينه وقد قبله ابن سينا وأثبته وتخطى منه إلى مبدأ خلقي صريح وانتهى الى جعل نزاع هائل بين قوتي النفس الأولى تقود البدن وتحثه على الرذيلة والثانية تريد الارتفاع به الى المثل العليا [٤] وكان يغني عن ذلك لو لم يعتمد على فكرة أرسطو في التجزئة وقد استعرض ابن كيفا الفيلسوف هذه التجزئة استعراضاً كاملاً وأسندها

---

(١) النجاة ص ٢٥٨ مطبعة السعادة ـ القاهرة سنة ١٣٣١ .
(٢) علم النفس لابن كيفا الباب ٤ ـ تفنيد عقيدة أرسطو .
(٣) النجاة ص ٢٥٨ .
(٤) النجاة ص ٢٦٨ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الى أرسطو ثم فندها ببراهين عقليـة لا تقبل الاعتراض وأثبت وحدة (القوة) في النفس ونسب جنوحها تارة الى الفضيلة وطوراً الى الرذيلة الى إرادتها الخاضعة وخضوع هذه الإرادة الى الميول الصالحة أو الطالحة بحسب الظروف المادية والأدبية المحيطة بها[١] .

ويأخذ ابن سينا بمبدأ أرسطو في التجزئة مرة أخرى فيقسمها وهي عنـده (كجنس واحد) بضرب من القسمة الى ثلاثة أقسام وهي النباتية والحيوانيـة والانسانية وكل منها (كمال أول لجسم طبيعي آلي) الأول من جهـة ما يتولد ويربو ويغذو والثاني من (جهة ما يدرك الجزئيات ويتحرك بالإرادة) والثالث (من جهة ما يفعل الأفعال الكائنة بالاختبار الفكري والاستنباط بالرأي ومن جهة ما يدرك الأمور[٢]) وبعد هذا هل يستطيع ابن سينا أن يتهرب من مبادئ أرسطو ونتائجه ؟ وهذه مبادؤه واضحة في قراراته النفسية هذه يشرحها ثم يثبتها بعد أن يجمع حولها البراهين وقد أخذ بها بعض الفلاسفة السريان وشرحوها شرحاً وافيـاً ولا سيما العلاّمة ابن العبري[٣] الذي يمثل كل أدوار الفلسفة عند قومه السريان .

وقد تمسك ابن سينا بهذه الأقسام تمسكاً شديداً فشرح قواها واحدة واحدة تبعاً للشروح التي علقت على معارف أرسطو فللنفس النباتيه ثلاث قوى هي الغاذية والمنمية والمولدة[٤] وللنفس الحيوانية قوتان محركة ومدركة وكل من هاتين القوتين تنقسم أيضاً الى قسمين آخرين ثم يتطرق الى شرح القوة الحسية بما فيها المخيلة والإدراك والحافظة والذاكرة ويعين محلاً خاصاً من الدماغ لكل من هذه القوة وهكذا كان ينادي المعلم الأول حسبما نستفيد ذلك من النقول السريانية[٥] .

(١) علم النفس لابن كيفا الباب ٤ – تفنيد آراء الفلاسفة .
(٢) النجاة ص ٢٥٨ .
(٣) منارة الأقداس الركن ٨ المقدمة المقصد الثاني وزبدة الحكم الكتاب ٨ في النفس الباب ٤ الفصل ١ .
(٤) النجاة ص ٢٥٨ .
(٥) النجاة ص ٢٦٤ – ٢٦٧ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وإذا أردنا السير بجانب الفيلسوفين اليوناني والشرقي نجد الثاني يسير مع الأول خطوة فخطوة حتى يبلغ الى كيان النفس العاقلة وهذه عنده مفارقة للجسم تبقى بعد فنائه فيتركه ويعود ادراجه الى عقيدته الخاصة وهي تقرير روحانية النفس وخلودها الأمر الذي أنكره باعتقاده أن (الصورة لا تقوم إلا بالمادة) .

وقد استعرض الفلاسفة الشرقيون آراء أرسطو هذه منذ القرن السادس المسيحي حتى نهاية القرن الثامن أو بالحري قبل وجود ابن سينا بقرن كامل ودرسوها بدقة وإتقان وقابلوها مع معتقداتهم اللاهوتية فأخذوا ببعضها ونبذوا البعض الآخر ولا سيما ما لا يتفق والتقارير اللاهوتية الخاصة بالروحانية كما عمل ابن سينا تماماً فهذا ابن كيفا المتوفى سنة (٩٠٣ م) أي قبل ولادة ابن سينا باثنتين وثمانين سنة جمع معارف اليونان والسريان في النفس واتفق مع أرسطو في بعض نظرياته وناهضه ونقض آراءه في البعض الآخر ولا سيما في ما لا يتفق والعقيدة المسيحية في النفس وكيانها وروحانيتها وخلودها[1] .

ولا حاجة للسير مع ابن سينا في جميع نظرياته النفسية لأن الشيء المهم لدينا هو ينبوع هذه النظريات وقد علمنا من هذه النظريات العابرة أن ابن سينا يتمشى مع أرسطو جنباً الى جنب في جميع المراحل ما عدا ما يناهض الوحي الأمر الذي يناهضه ابن سينا وينقضه ويجنح الى ما يجعلنا نتصور أنه يأخذ بنظريات أفلاطون والافلاطونية الجديدة وهو وإن كان فيه شيء من الاحتمال إلا أن الشيخ الرئيس حافظ على مبدئه الديني كمسلم يؤمن بالله وبالروحانية والخلود ، وإذا سلمنا أن الإسلام قد جاء بكل هذه التعاليم وأقرها بصراحة فلا حاجة لأخذها من مصدر آخر فالأفلاطونية الجديدة مع ما فيها من الروحانية والسمو المثالي نجدها في أمور كثيرة تخالف الدين أيضاً ولكنها أقل خطراً من نظريات

(١) علم النفس لابن كيفا الباب ١٢ و ١٣ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أرسطو وقد مجد ابن سينا أفلاطون فسماه (الآلهي) بضع مرات [١] كما كان يسميه فلاسفة السريان من قبله .

وقد استفاض ابن سينا في بحث (الشعور) وأولاه اهتماماً عظيماً ، مما حمل بعض الباحثين على الاعتقاد أن ابن سينا هو أول فيلسوف شرقي طرق بحث الشعور ولكننا نجد الفيلسوف ابن كيفا يفرد له باباً خاصاً في كتابه ويشبعه درساً وتشريحاً [٢] قبل ابن سينا بقرن كامل . وقد ألف كتابه هذا باللغة السريانية وأخذت منه أفكار كثيرة وترجمت الى العربية بعد وفاته بمدة وجيزة ولا نجزم هنا أن ابن سينا اطلع عليها مع وجود احتمال ذلك ولكننا نجزم أن ابن سينا ليس أول فيلسوف شرقي بحث الشعور كما أننا لا نقرر ان ابن كيفا هو أول من بحثه فقد نجد شتاته مبثوثاً في المؤلفات النفسية عند الفلاسفة السريان .

أما معارف ابن سينا النفسية فقد تخطت الأجيال الطويلة حتى وصلته بالطريقة التي وصلته فيها المعارف المنطقية سواء بسواء لأن علم النفس لأرسطو ترجم في القرن السادس الى السريانية بقلم الفيلسوف الطبيب سرجيس الراسعيني [٣] وكان سرجيس أميناً في النقل فاهماً موضوعه حق الفهم ، وهو الذي منحه قوة التعبير الصحيح عن مرامي المؤلف اليوناني .

ولم يتوقف الفلاسفة السريان عند الترجمة وحسب ، في علم النفس بل أخذوا يؤلفون المجلدات الضخمة في هذا العلم الجليل وأشهر أولئك الأعلام آحودامه جاثاليق الشرق (٥٧٥ +) الذي يعد مؤلفه في النفس أجود مؤلف في اللغة السريانية لأنه يدرس النفس درساً دقيقاً والانسان باعتباره عالماً صغيراً وفي تركيب الانسان من نفس وجسد ويعد آحودامه الفيلسوف مبتكراً في هذا الموضوع

(١) النجاة ص ٣٤٩ .
(٢) علم النفس لابن كيفا الباب ١٦ .
(٣) اللؤلؤ المنثور ص ١٥٧ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

لأننا لم نقرأ لغيره من الفلاسفة بهذا المعنى حتى القرن التاسع عشر حيث أعطانا صورته المصغرة الفيلسوف الألماني هرور بعد ثلاثة عشر قرناً وهـذا لعمري شرف عظيم يوليه هذا الفيلسوف للغة السريانية خاصة وللفلسفه الشرقية عامة ؛ وفي القرن السابع وأوائل الثامن نبغ في العلوم الفلسفية يوحنا الاثاربي وصنف كتاباً جليلاً في النفس البشرية مازالت نسخته الوحيدة موجودة [١] وقد نقلها العلامة أياونيس الداري في كتابه في النفس [٢] وفي القرن التاسع نبغ الفيلسوف أياونيس الداري (٨٦٠ +) فقدم مؤلفاً جليلاً آخر في النفس مازالت منه ثلاث نسخ قديمة في أشهر خزائن الكتب الغربية [٣] على أن أعظم مؤلف في علم النفس باللغة السريانية هو موسى بن كيفا (٩٠٣) في منصرم القرن الثامن وقد اهتم السريان بهذا المؤلف النفيس فدرسه كثيرون من علمائهم وأكثروا من نسخه ونقله يرون الى الألمانية سنة ١٨٩١ م .

وقد ترجم كتاب أرسطو في النفس الى العربية في هذا العهد كما أننا نعتقد أن التراجمة السريان الذين عاشوا في القرنين الثامن والتاسع نقلوا وعلقوا على هذه الكتب بالعربية حتى كونوا منها مجموعة صالحة في علم النفس أخذت تتداولها الأيدي في بغداد وغيرها فأخذ بها الفارابي ثم ابن سينا وغيرهما من فلاسفة هذه الحقبة .

وقد حفظت خلاصة المؤلفات النفسية اليونانية والسريانية في كتب العلامة الفيلسوف ابن العبري ، وانا نحوز جميعها وقد ألف هذا العالم الجليل عدة مقالات في النفس البشرية منها المقالة الثامنة من كتاب منارة الأقداس والكتاب الثامن

---

(١) خزانة بوسطن عدد ٣٩٧٣ قرن ١٣ .

(٢) بوسطن ٣٩٣٣ والفاتيكان عدد ١٠٠ وعدد ١٤٨ خطت سنة ١٢٣٤ .

(٣) الفاتيكان عدد ٤٠ والزعفرانية ١١١ والبطريركية الانطاكية بحمص وفي الموصل عدة نسخ منه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

من الموسوعة الفلسفية الكبرى (زبدة الحكم) والمقالة السادسة من كتاب (الأشعة) هذا بالسريانية ولم تزل مخطوطة . أما بالعربية فلهذا الفيلسوف رسالة ضافية في النفس أنشأها بقلمه وقد نُشرت .

وإذا تأملنا تعاليم ابن العبري النفسية نجدها خلاصة الخلاصات في ما كتب في هذا العلم الجليل من مؤلفات يونانية وسريانية واذا استمد ابن العبري بعض نظريات ابن سينا في النفس فانما عمل ذلك لتعشقه فلسفة أرسطو والشيخ الرئيس بآن واحد ، ولولا مؤلفاته لفقدنا معلومات كثيرة في هذا الباب .

فتكون الدروس النفسية عند ابن سينا إذن صادرة عن المؤلفات اليونانية والسريانية التي سبقتها بعهد طويل أخذها عن طريق التراجمة والمؤلفين الذين نبغوا بالعربية قبل عصره بمديدة ولولا ضيق المقام لكان علينا أن نقابل بينه وبين الدراسات النفسية في اللغة السريانية وإن كنا قد ذكرنا بعض شذور من هذه المقابلة .

أما دراسات ابن سينا في ماوراء الطبيعة فانها تكون مزيجاً عجيباً من آراء أرسطو وأفلاطون والدين إنما الأساس من حجارة نحتتها يد أرسطو وقدمتها يد ابن سينا بناءً شامخاً بآراء أفلاطون وكل ذلك ليستظل به الدين أو بعبارة أكثر صراحة ان ابن سينا حاول التوفيق بين الفلسفة والدين بل أراد إخضاع الفلسفة لخدمة الدين وإثبات نظرياته اللاهوتية ويظهر أنه في عصر ابن سينا شاعت هذه الطريقة بين الفلاسفة وهي التوفيق بين الفلسفة والدين وإخضاع الفلسفة للتعاليم الدينية لأننا نجد فيلسوفاً مسيحياً معاصراً لابن سينا هو الحسن بن الخمار الذي كان موجوداً سنة ٩٩٧ يعالج الموضوع بنفس الطريقة التي عالجه بها ابن سينا وألف كتاباً في التوفيق بين رأي الفلاسفة والنصارى [1] وهذا ما عمله قبل هذا التاريخ أيضاً بمدة قرون كثيرون من فلاسفة الشرق الذين كتبوا

(١) الفهرست ص ٣٧٠ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

باللغة السريانية فانهم هم الذين ابتكروا هذه الطريقة في البحث اللاهوتي فاستمدها بعض الفلاسفة في عهد الترجمة والتعليق الى اللغة العربيـة وأدخلوها مؤلفاتهم اللاهوتية أمثال يحيى بن عدي وابن الخمار الآنف الذكر وغيرهما من المؤلفين فجاء ابن سينا يحتذيها ويستمدها منهم . ولكنه كان ناجحاً فيها نجاحاً عظيماً .

وابن سينا مدين بالفضل للفارابي في دراسات (ما وراء الطبيعة) فانه بعد تبحره في المنطق والطبيعيات رغب في الإلهيات فوجد طريقه شائكاً وأقبل على كتاب (ما بعد الطبيعة) لأرسطو يطالعه ويعيده زهاء أربعين مرة حتى (صار محفوظاً) ولكنه كان لا يفهمه وأوشك اليأس أن يحمله على تركه حتى عثر على كتاب (أغراض كتاب ما بعد الطبيعة) لأبي نصر الفارابي وما أجال نظره فيه حتى انفتحت عليه أغراض هذا العلم [1] .

ولا حاجة للتعليق على هـذه الحادثة الهامة فانها توضح لنا أمرين هامين الأول ان ابن سينا استمد دراساته في ما وراء الطبيعة من أرسطو وان كان قد استمد من غيره والثاني ان الفارابي أستاذه الوحيد في فهم هذا الموضوع والفارابي أيضاً بدوره استمد حل مشكلاته عن أساتذته وعن العلماء الذين سبقوه وأضاف الى تفاسيره ما استمده من اجتهاده الخاص فجاء عمله مستوفياً شروطه العلمية .

لم يكن ابن سينا فيلسوفاً جامداً ولكنه كان حر التفكير طليقاً يستمد من هذا الفيلسوف ما يفيده ثم يتركه ويذهب الى الآخر حتى يؤلف مجموعة كاملة من الفكر الراجحة التي تعينه على إثبات نظريته فيخرج من هذا الميدان ظافراً وهذه طريقة دقيقة تحتاج الى لباقة وذكاء وكان ابن سينا موهوباً في كليهما .

واذا استعرضنا نظريات ابن سينا في ما وراء الطبيعة نجدها تأخذ مبدأها من المعلم الأول وتمر على أفلاطون وغيره من الفلاسفة الروحانيين وتنتهي عند عتبة الدين وكأني بالشيخ قد استخدم كل تلك الفلسفات لصالح الدين وإثبـات نظرياته الروحية .

---

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص ٣ والقفطي مطبعة السعادة ص ٢٧٠ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

والشيء الحقيقي الذي يمكن قوله في جنوح ابن سينا الى العقائد الأفلاطونية والأفلاطونية الجديدة هي تشبعه من ترجمات أرسطو نفسها الى العربية فان هذه الترجمات عندما ترجمت أولاً الى السريانية وعلق عليها معلقون وشرّاح من السريان دخلتها عناصر فلسفة أفلاطون والأفلاطونية الجديدة بمعرفة الشرّاح أو بدون معرفتهم وذلك لأن السريان جنحوا الى هاتين الفلسفتين لتشبعها بالروح الدينية والمثل الزهدية العليا وهذه أديارهم تملأها هذه الروح وكان من الطبيعي أن تتعدى الى تفاسيرهم وشروحهم لأرسطو أو لغيره من الفلاسفة اليونانيين وعندما ترجمت الترجمات السريانية في ما وراء الطبيعة والإلهيات على الأخص الى اللغة العربية احتفظت بعناصرها الجديدة التي درسها الشرّاح والمعلقون فاستطابها العرب بدورهم فرأيناها تظهر في نتاجهم الفلسفي ولا سيما الشيخ الرئيس واليك تفصيل ذلك .

فاذا أراد ابن سينا إثبات وجود الإله أخذ مبدأ براهينه من أرسطو لأنه يرى (ان المبدأ المفارق) انما هو مفارق الهيولى [1] واستناداً على دعائم قديمة يورد ابن سينا براهين كثيرة لإثبات عقيدته بوجود الإله ويرى أنه لا ينبغي التماس البرهان على وجود الإله بشيء من مخلوقاته بل إمكان ما هو موجود وما يجوز في العقل وجوده موجوداً أولا واجب الوجود وجوده عين ماهيته .

وهناك طريقتان لإثبات واجب الوجود الأولى خاصة بالمتكلمين وهي الاستناد الى الحدوث والثانية خاصة بالفلاسفة وهي الاستدلال على الواجب بامكان الممكنات [2] وابن سينا يختار طريقة الفلاسفة ممزوجة بقضية عدم وجود ووجود بعد عدم ويعود الى الإثبات بأن العالم (ممكن) وهو بحاجة الى علة تخرجه الى الوجود [3] وليست هذه الطريقة جديدة في إثبات (واجب الوجود) فقد رأيناها عند الفلاسفة الشرقيين منذ القرن السابع ، فان يعقوب الرهاوي الفيلسوف السرياني الكبير

---

(١) الإشارات ص ١٠٤ .
(٢) النجاة ص ٣٤٧ .
(٣) النجاة ص ١٤٦ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

المتوفى ٧٠٨ م ألف كتاباً نفيساً في هذا الموضوع وسماه (بالعلة الأولى) وبرهن فيه على وجود واجب الوجود بواسطة العلية والعالم لديه (ممكن) وهو بحاجة الى علة (أولى) تخرجه من الإمكان الى الوجود وأحياناً من العدم الى الوجود [١] وانتشرت هذه الطريقة من البرهنة على وجود واجب الوجود فأخذ بها جميع الباحثين الذين جاءوا بعد هذا التاريخ وقد وجدنا بحوثاً لاهوتية بالعربية للفيلسوف يحيى بن عدي في هذا المضمار لا شك ان ابن سينا تأثر بالترجمات العربية التي وجدها بين يديه في ما وراء الطبيعية ولا سيما إثبات واجب الوجود .

وقد تناول يحيى بن عدي نظرية (الممكن) بطريقة أخرى ووضع في نقضها كتابين أحدهما (إثبات طبيعة الممكن وأقوى الحجج على ذلك والتنبه على فسادها) والثاني في كتاب (الشبهة في إبطال الممكن) [٢] .

وقد علمنا أن ابن عدي نقل كتاب (ما وراء الطبيعة لأرسطو) من السريانية العربية ذكره ابن العبري في تاريخ مختصر الدول [٣] والقفطي (في مادة يحيى بن عدي) .

وإذا قابلنا نظريات ابن سينا في إثبات الإله بما خلفه المؤلفون الشرقيون في هذا المضمار نصيب شيئاً من البحوث القديمة نستطيع جعلها أساساً للبحوث التي جاء بها فيلسوفنا وقد جمع الفيلسوف ابن العبري في كتاب (منارة الأقداس) خلاصة هذه النظريات ما عدا ما استنبطة من فكرته النيرة التي كانت له تعود على أسس أرسطو على وجه أخص وكذلك في كتابه (زبدة الحكم في قسم الإلهيات [٤]) .

إذا عدنا مرة أخرى الى طريقتي المتكلمين والفلاسفة في إثبات واجب الوجود نجد ابن سينا في بادئ الأمر يعتنق مذهب المتكلمين مع أنه يعرض بهم

---

(١) اللؤلؤ المنثور ص ٣٠٣ .
(٢) القفطي مادة يحيى بن عدي وثبت مؤلفاته في مقدمة كتابه تهذيب الأخلاق ص ١٤ .
(٣) مختصر الدول ص ٣٩ والقفطي ص ٢٣٧ .
(٤) زبدة الحكم .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وبتقدمهم والأظهر أنه حاول السير على طريقه الفلاسفة في قضية (الامكان) ولكنه سقط في ما كان يخشاه فمال الى المتكلمين .

إن (واجب الوجود) عند ابن سينا واحد أحد لا كثرة في ذاته ولا تصدر عنه كثرة ولا تضاف اليه صفات إلا بطريقة السلب والايجاب خشية تعارضها مع وحدة الذات [١] وهذا الواحد لا يصدر عنه إلا الواحد وهو (العقل الأول) وهذا (العقل) يصدر الكثرة بطريقة التسلسل فبتعقله لعلته يصدر عنه (عقل ثالث) وهذا يدير (الفلك الأقصى) ثم بتعقله أيضاً لذاته تصدر عنه نفس بعقل فعله بتوسطها ثم يستمر الصدور على هذه الطريقة فكل (عقل) تصدر عنه ثلاثة أشياء (عقل ونفس وجسم [٢]) .

أما الإمكان فكل شيء تحت السماء (ممكن) صادر بطريقة التسلسل عن واجب الوجود وصدوره أزلي ومحله الهيولى والهيولى إمكان مجرد أزلي لجميع الموجودات [٣] وعند (الهيولى) يقف فعل العقل لأنه لا يؤثر فيها وهي مبدأ الكثرة في الجزئيات .

من أين لابن سينا هذه الآراء ؟ انها تظهر غريبة عن الإسلام والمسيحية بآن واحد على الأقل في ظاهرها اللفظي لأن (الإله) فيها قادر على كل شيء يقول للشيء ـ مهما كان ـ كن فيكون ، وإذا بابن سينا هنا يقيده ويحصر أعماله ويقصرها على اصدار (عقل) بواسطته يستحيل كل شيء في الامكان الى وجود فعلي وبالتالي يحدث الكثرة في الكائنات الموجودة وعندنا ان ابن سينا استقى آراءه هذه عن فلاسفة المسيحية الأولين الذين بحثوا في (العقل الأول) الذي سموه أيضاً (الكلمة) وطبقوه على الكتاب المقدس (بكلمة الله خلقت السموات وبروح فيه كل جنودها) .

---

(١) صفات الواجب ـ النجاة ص ٣٦٩ و ٣٨٣ و ٤١١ ، والإشارات ص ١٤٤ - ١٤٧ .
(٢) رسالة في معنى الزيادة ص ٤٦ .
(٣) الإشارات ص ١٥١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وإذا ألقينا نظرة أعمق من ذلك وهي الأخيرة نجد هذه الآراء مستمدة من المعلم الأول أخذها بعض فلاسفة المسيحية في العصور الأولى ثم انتقلت مع الترجمات الى العربية فأخذها الفلاسفة الذي كتبوا فيها وعنهم استمدها ابن سينا بشوبها الطبيعي الذي وصله عن طريق الترجمة والشروح . والآن نجد هذه الآراء وما يتبعها من صفات الله (السلبية والايجابية) مجموعة في اللغة السريانية ويضاف اليها أيضاً ما علقه ثاوسطيوس على بعض كتب أرسطو في ما وراء الطبيعة وما أنتجه من شروح للبعض الآخر وذلك في الموسوعة الفلسفية الكبرى للعلامة غريغوريوس ابن العبري ففي هذا الكتاب يذكر أساس هذه النظريات ويعيدها الى أرسطو وقد صرح بذلك مرات كثيرة [١] .

واذا تطرق ابن سينا الى صفات (واجب الوجود) استمدها من الصفات التي ذكرها أرسطو وأضفى عليها ثوباً من المباديء الدينية المقررة في الوحي مشرباً بخطوط متماوجة من الأفلاطونية الجديدة وهي من محصول الشرّاح والمعلقين الأولين ثم يتطرق الى موضوع (الصفات الإلهية) ويحذر كل الحذر أن يؤثر شيء من الصفات على (الوحدة) في واجب الوجود الأمر الذي أقره المعتزلة واعتنقه الفلاسفة بعدهم أمثال الكندي والفارابي وابن سينا .

إن نظرية الصفات بثوبها السلبي والإيجابي كانت معروفة قبل المعتزلة وقبل هؤلاء الفلاسفة بوقت طويل أخذ الباحثون أصلها من أرسطو وعدلوها بطريقة توافق الديانات المنزلة ونجدها بثوبها الحقيقي عند العلاّمة ابن العبري وقد حافظت على كيان (الوحدة) في الإله الحق [٢] ونقض هذا الفيلسوف نظرية أرسطو

---

(١) ابن العبري (زبدة الحكم) كتاب الثيولوجي (اللاهوت النظري) وهو الثاني لما وراء الطبيعة الباب ٢ الفصل ٢ النظرية ٥ والباب ٣ الفصل ٣ النظرية ٤ والباب ٤ الفصل ٥ النظرية ٢ وفيه ايضاً النظرية ٣ والباب ٤ الفصل ٧ النظرية ٤ .

(٢) النجاة ص ٤٠٩ .

(٣) ابن العبري : زبدة الحكم الثيولوجي الباب ٢ الفصل ١ النظرية ٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

نقضاً منطقياً [١] وتظهر على بحثه عناصر البحث الفلسفي الذي أضفاه المعلقون والفلاسفة في عصر الشرح والتعليق .

أما نظرية (العلم) في واجب الوجود فان ابن سينا شأن بقية الفلاسفة الشرقيين خالف أرسطو فيها لأن المعلم الأول كان يقول إن الإله يعقل ذاته ويعقل الكليات فقط لأن معرفته بالجزئيات يضمر بكماله الوحداني بينما يصرح ابن سينا ان الله يعقل ذاته ويعقل الكليات كما يدرك الجزئيات ولكن بصفتها الكلية [٢] وهو المسلم الذي نعلم ان الإله (لا يعزب عن علمه مثقال ذرة لا في السموات ولا في الأرض [٣]) وفي عقيدة ابن سينا ان تصريحه يتفق مع مقررات الدين هذه) [٤] .

واذا أردنا معرفة ينبوع هذه النظرية نضع أمامنا نظرية أرسطو كأساس ثم نضيف اليها التعاليم الدينية المسيحية والاسلامية وما علقه الفلاسفة الشرقيون على أرسطو منذ القرن السادس فما بعد ولا سيما ما كتبه الفيلسوف يحيى بن عدي في (ان الله يعرف الكليات والجزئيات والفرق بين العلمين) [٥] وبعد ذلك نهتدي الى الينابيع الحقيقية لهذه النظرية ونجد خلاصة ذلك في الموسوعة الفلسفية للعلامة ابن العبري يستعرض فيها نظرية أرسطو ثم يأتي بالبراهين المنطقية على نقضها تبعاً لآراء الفلاسفة السابقين [٦] .

ويدرس ابن سينا (العناية الإلهية) ويحددها بقوله (العناية هي كون

---

(١) منارة الأقداس الركن ٩ الباب ٢ الفصل ٢ المقصد ٢ الرد ١ .
(٢) الشفاء مقالة ٨ الفصل ٦ ص ٥٨٩ .
(٣) قرآن كريم سورة ب الآية ٣ .
(٤) الشفاء مقالة ٦ فصل ٦ ص ٥٩١ .
(٥) القفطي في مادة يحيى بن عدي ومقدمة كتابه (الأخلاق) ص ٦ .
(٦) زبدة الحكم الثيولوجي الباب ٢ الفصل ٤ النظرية ١ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الأول عالماً لذاته بما عليه الوجود من نظام الخير وعلة لذاته للخير والكمال بحسب الامكان وراضياً به على النحو المذكور فيعقل نظام الخير على الوجه الأبلغ في الإمكان [١]) ومجمل عقيدته هو كون الإله بما أنه خير كلي أبدع كل شيء خيراً وكمالاً وجمالاً ويعتقد ان الخير طبيعي ذاتي والشر عرضي طاريء فكل وجود خير وكل عدم شر والإله يصرف عنايته على تأييد الخير ولكنه يسمح في وقوع شر قليل لإصابة خير كثير وهذا مذهب التفاؤل الذي أخذ به بعض الفلاسفة الشرقيين ومن الذين أيدوه وكتبوا في العناية الإلهية قبل زمن ابن سينا كثيرون أشهرهم يعقوب الرهاوي [٢] (٧٠٨) وقريافس التكريتي البطريرك [٣] (٨١٨) وانطون التكريتي إمام الفصحاء (القرن التاسع) [٤] وقد استمد ابن العبري آراءهم جميعاً في هذا الموضوع وكتب بحثاً ضافياً في (العناية) وجعل فيه الخير ايجابياً في الوجود والشر سلبياً وهو نقص الوجود أو عدمه ثم قرر أن الله يسمح في شر قليل استجلاباً للخير الكثير [٥] .

- ٣ -

والطبيعيات عند ابن سينا هي نفس طبيعيات أرسطو يبدأها على غرار أرسطو بالتفريق بين المادة والصورة والعلاقة بينهما وتركيب الأجسام والقوة والفعل وغير ذلك من المواضيع التي أخذ بها الفلاسفة الطبيعيون منذ عهد الترجمة والتعليق . ولم يصل الينا شيء مهم من العلم الطبيعي في الترجمات السريانية القدمى سوى بعض الفصول التي لا تغني فتيلاً ولا نعتقد الا أن طبيعيات أرسطو ترجمت الى

---

(١) النجاة ص ٤٤٦ .
(٢) اللؤلؤ المنثور ص ٣٠٣ .
(٣) فيه أيضاً ص ٣٣٠ .
(٤) فيه أيضاً ص ٣٣٧ .
(٥) العناية الإلهية منارة الأقداس الركن التاسع كله .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

السريانية والعربية في عصر واحد وعلقت عليها الشروح أيضاً في الوقت نفسه ، ونجد أخبار هذه الترجمة والشروح عند جمال الدين القفطي ص ٢٨ — ٣١ . أما الطب عند ابن سينا فليس من موضوعنا مع العلم أن ترجمات طبية كثيرة وصلت الينا ونبغ أطباء كثيرون في الشرق نالوا شهرة واسعة أمثال سرجيس الراسعيني الفيلسوف الذي نقل طائفة من تآليف جالينوس في الطب [1] . كما نبغ غيره كثيرون في القرون الثلاثة السادس والسابع والثامن وقد كتبوا بلغتهم السريانية ثم جاء عهد الترجمة في العصر العباسي فامتلأت خزائن بغداد بالكتب الطبية من مترجمة وموضوعة وطبعاً اعتمد ابن سينا على هذا التراث الضخم وعليه بنى طبه فأعطانا (كتاب القانون) وغيره من مؤلفاته الطبية .

— ٤ —

بقي علينا شعر أرسطو عند ابن سينا لم نتطرق اليه الى الآن وان كان تابعاً للكتب المنطقية عند المعلم الأول ذلك لأن أهميته قليلة بالنسبة الى بقية العلوم التي أخذ بها الشيخ الرئيس .

إن شعر أرسطو عند ابن سينا يظهر فيه الضعف وتحيطه الركاكة وقد فقد قيمته وأضاع روعته وطبعاً لا نستطيع لوم الشيخ الرئيس في هذه الهنات لأنه أبدع في كل المواضيع التي تناولها عن المعلم الأول بواسطة ترجماتها وشروحها أما تقصيره في هذا الموضوع فلا نظن يعود اليه وان كان ابن سينا ليس شاعراً بالمعنى الصحيح .

طبعاً وصل شعر أرسطو (فويطيقي) الى ابن سينا عن طريق الترجمة ولكن هل كانت هذه الترجمة صحيحة تؤدي المعاني (للفويطيقي) ؟ ذلك لا نظنه لأن كتباً كثيرة ترجمت من اليونانية أضاع المترجمون معظم غايات المؤلف

(١) اللؤلؤ المنثور ص ٢٣٦ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

لجهلهم طرق النقل من اليونانية الى اللغة التي نقلوا اليها أو لضعفهم في إحدى اللغتين أو في كتبهما أو في أصول ذلك العلم نفسه .

وصلتنا ترجمة سريانية قديمة لفويطيقي أرسطو ونعتقدها خرجت من قلم خبير باللغتين اليونانية والسريانية ولا شك أن الذي ترجم كتب أرسطو المنطقية برمتها ترجم معها الفويطيقي لأن المعلم الأول وضعه كقسم قائم بذاته لمعارفه المنطقية وهو من مجهود القرن السادس يوم كانت الترجمة من السريانية الى اليونانية في أوجها بفضل الراسعيني وساويرا سابوخت وغيرهما من كبار النقلة .

إلا أن السريان حسبما يظهر لم يعنوا كثيراً في هذا الموضوع لعدم الحاجة اليه لذلك لا نجد في تآليفهم المنطقيه شيئاً له خطورة فيه بينما أولوا عناية هامة لإلياذة هوميروس فترجمت شعراً الى السريانية واستمد منها شذوراً كثيرة أنطون التكريتي الفصيح في كتابه (الفصاحة) وذكره زهاء عشر مرات وأورد أبياتاً من الالياذة المنقولة الى السريانية [1] .

أما الترجمة السريانية للفويطيقي فقد نقلت الى العربية مرتين الأولى بيد أبي بشر متى والثانية بيد يحيى بن عدي والراجح عندنا أن ترجمة أبي بشر هي التي وصلت ابن سينا فاقدة قوتها الأصلية لضعف عباراتها العربية وفقدانها روعتها الأصلية والدليل الواضح على ضعف متى في النقل تولي يحيى بن عدي نفسه إصلاح كثير من نقوله حسبما يخبرنا جمال الدين القفطي وهـذا واضح لدى كل متتبع .

أما ابن سينا فباعتماده على نقل عربي ركيك من جهة وفاقد صفاته الأصلية من جهة ثانية جاءت أعماله في هذا الموضوع لا روح فيها ولا حياة ولا نستطيع اتخاذها كأثر ذي خطر علمي كبـير ولا لوم على ابن سينا فاللوم على ناقل الترجمة التي اعتمد عليها .

---

(١) الفصاحة لأنطون التكريتي المقالة ٥ في الشعر القانون ١٢ وما بعده .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولدينا الآن بالسريانية قسم (المأساة) من (فويطيقي) أرسطو أورده العلامة سويريوس يعقوب البرطلي في (كتاب الديالوغ) وانك لتجد في هذا القسم روح الترجمة السريانية للمأساة وهي قسم مهم من الفوطيقي [١] فنعلم أن المترجم السرياني قام بواجبه خير قيام ولو أخذت الترجمة العربية لشعر أرسطو بهذه الدقة والروعة لما هفا بها فلاسفتنا العرب ولكن هو الإنسان . ولدينا ترجمة كاملة في (الفوطيقي) بالسريانية أوردها العلامة ابن العبري في القسم الأول من موسوعته الفلسفية (زبدة الحكم) [٢] .

هذا ما استطعنا قوله في (ينابيع المعرفة عند ابن سينا) ومن كان لديه من مزيد فليزودنا والله الموفق .

(الموصل) غريغوريوس بولس بهنام

مطران الموصل وتوابعها للسريان الأرثوذكس

---

(١) الديالوغ المقالة ٣ ـ الجواب على السؤال العشرين .

(٢) زبدة الحكم المجلد الأول المقالة ٩ كلها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net